

قصة : يوسف أبو رية

رسوم : نبيل تاج

أسد السيرك

أسد السيرك

قصة: يوسف أبو رية • رسوم: نبيل تاج



دار
الفتى
العربي
للنشر والتوزيع

رأيْتُهُ يَقفُ عنْدَ بَابِ الدَّارِ ؛ يَضَعُ عَلَى رأْسهِ طَرْبُوشًا وَرَقيًا أَسْوَدَ ؛ لَهُ خَطَّانِ منْ أمَامٍ ؛ أَحَدُهُمَا أَزْرَقُ ، والآخَرُ أَحْمَرُ ،وَيَمْتَدُّ تَحْتَ أَنْفِهِ شَارِبٌ مَبْرُومٌ إِلَى أَعْلَى . وكَانَ قَمِيصُهُ فِي سَرَاوِيلِهِ وأَطْرافُ السَّراوِيلِ دَاخِلَ الْجَوْرَبِ . وكَانَ يُمْسِكُ بِيَدِهِ عَصًا طَوِيلَةً ؛ رَبَطَ بِرأْسِهَا حَبْلاً وَجَعَلَهَا مِثْلَ السَّوْطِ .

اقْتَرَبْتُ منْهُ ؛ وأَنَا أَتَحَسَّسُ طَرْطُورِي الَّذي تَتَدلَّى زَوَائِدُهُ عَلَى عَيْنَيَّ ، وَقَفْتُ أَتَأَمَّلُهُ وَهُوَ يَرْكُنُ بِكَتِفِهِ عَلَى جَانِبِ الْبَابِ ، وَيَضْرِبُ السَّوْطَ فِي





الْهَواءِ ؛ فَتُفَرقِعُ أطْرافُهُ .

قَالَ لِي : «أَتَلْعَبُ مَعِي لُعْبَةَ السِّيركِ؟» .

قُلْتُ :«أَخِي أَدْخَلَنِي السِّيركَ لَيْلَةَ الأمْسِ،وكَانَ بِهِ أَسَدٌ كَبِيرٌ» .

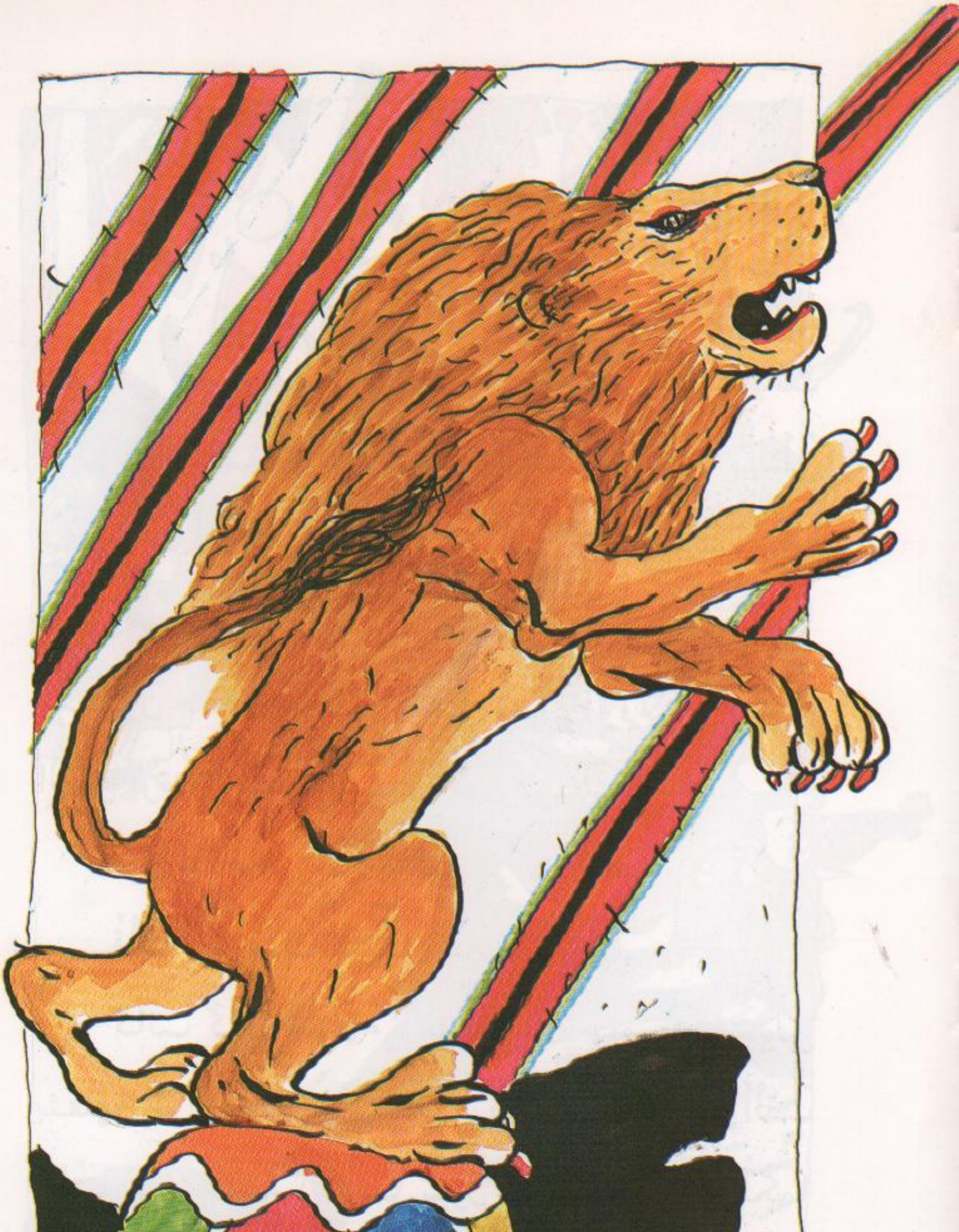
قَالَ : «أَنَا عِنْدِي الأَسَدُ» .

قُلْتُ لَهُ : «أَنْتَ تَسْخَرُ مِنِّي!» .

قَالَ :«فِي الْخِرِبَةِ الَّتِي بِآخِرِ الشَّارِعِ كَلْبَةٌ وَلَدَتْ عَدَداً مِن الْجِراءِ» .

سَأَلْتُهُ : «مَالَنَا والْجِراءِ ؟» .

أَجَابَنِي:«نَسْتَطِيعُ أَنْ نَجْعَلَ مِنْ أَحَدِهَا أَسَداً» .

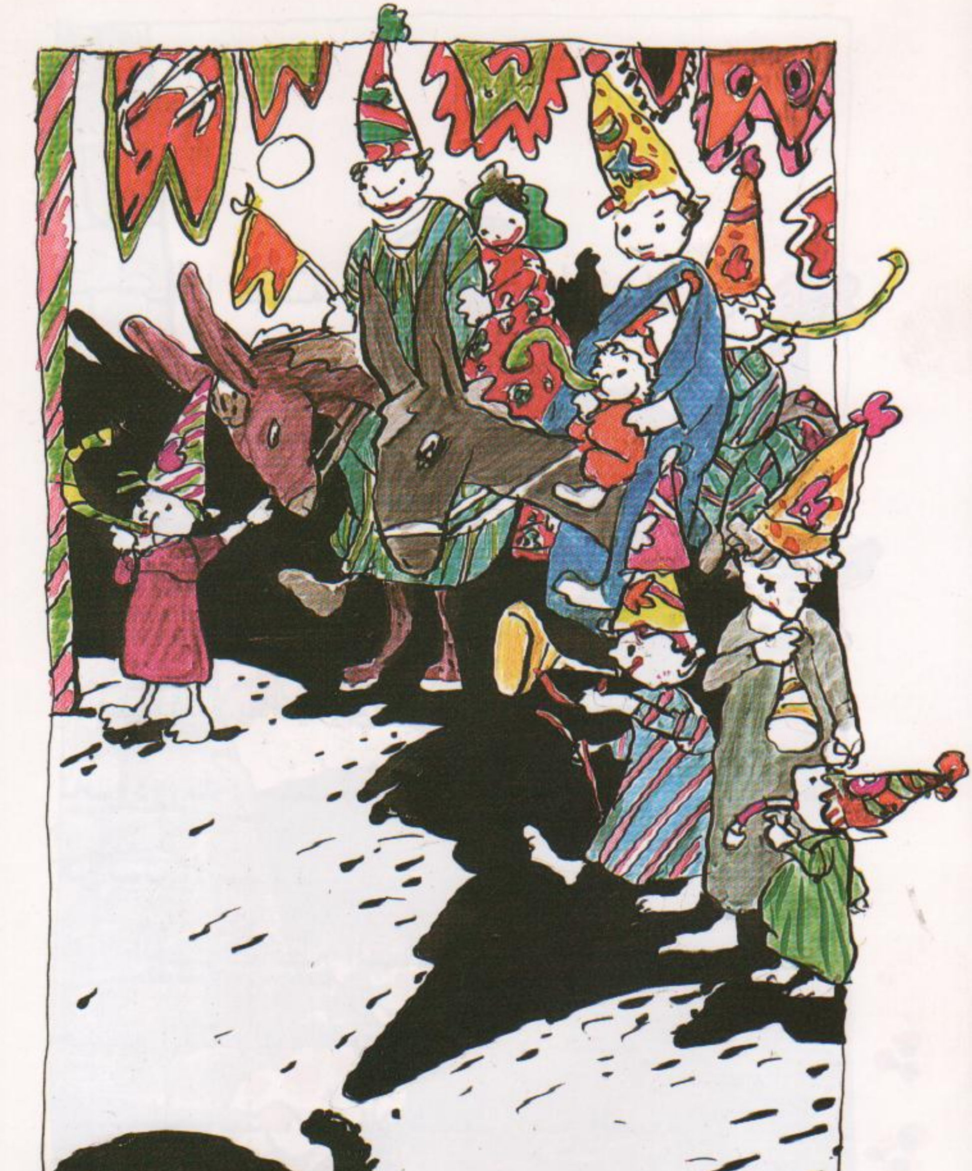


فِي الشَّارِعِ الْخَلْفِيِّ الَّذِي تَقَعُ فِيهِ دُورُنَا ؛ كَانَت الأَبْوَابُ مُغْلَقَةً ، والشَّمْسُ تَمْلأُ الْمَكَانَ ، والظِّلُّ مَايَزالُ مُعَلَّقًا عَلَى الْجُدْرَانِ . أَمَّا الشَّارِعُ الْكَبِيرُ ؛ فَكَانَ يَمُوجُ بِأَهْلِ الْقُرَى الْعَائِدِينَ من الْمَولِد . كَانُوا يَمْشُونَ خَلْفَ الْحَمِيرِ الَّتِي تَرْفَعُ الأولادَ والْبَنَات الَّذِينَ يرْتَدُونَ الطَّراطِيرَ ويَنْفُخُونَ فِي الزَّمَامِيرِ .

قَالَ : «هَاهِيَ الْكَلْبَةُ فِي الرُّكْنِ الْبَعِيد».

قُلْتُ : «اقْذفْ عَلَيْهَا بِحَجَرٍ» .

كَانَتْ كَلْبَةً سَوْدَاءَ ؛ لَهَا أَثْدَاءُ عَامِرَةٌ ، تَتَدَلَّى بِثِقْلِهَا إِلَى الأَرْضِ . انْسَحَبَتْ بِدُونِ مُقَاوَمَةٍ ، وأَلْقَتْ عَلَيْنَا نَظْرَةً عَاتِبَةً ؛ كَأَنَّمَا تَقُولُ : «هَا قَدْ تَرَكْتُ لَكُمَا الْمَكَانَ ؛ فَلا تُؤْذِيَا جِرَائِي» .



كَانُوا خَمْسَةً ؛ يَرْقُدُون فِي ظُلْمَةِ الركْنِ ؛ دَاخِلَ حُفْرَةٍ رَطْبَةٍ ؛ أَسْفَلَ الْجِدارِ الْقَدِيمِ .

سَأَلَنِي : «أَيَّهَا تَخْتَارُ ؟» .

قُلْتُ :«هَذَا .. فَهُوَ بِلَوْنِ الأَسَد».وأَشَرْتُ إِلَى الْجَروِ ذِي اللَّونِ الْبُنِّيِّ الْفَاتِحِ ؛ فَانْحَنَى ، ورَفَعَهُ من أَسْفَلِ بَطْنِه.بَدَأَ يَعْوِي فِي فَزَعٍ لايَضُرُّ ولايَنْفَعُ، وَعُدْنَا نَحْوَ دُورِنَا ؛ حَيْثُ أَحْضَرَ قَفَصَ الْجَرِيدِ. وَقَالَ :«هَذَا هُوَ بَيْتُ الأَسَد» .

أَحْضَرْتُ قِطَعَ الْقُمَاشِ الْقَدِيمَةَ ، وَقُلْتُ:«هَذِه هِي خَيْمَةُ السِّيرك» . وَبَدَأْنَا نَغْرِزُ الْعِصِيَّ والْجَرِيدَ فِي ثُقُوبِ الْحَائِط ، وَنُمَدِّدُ عَلَيْهَا قِطَعَ الْقُمَاش؛ فَتَكَوَّنَ السَّقْفُ ، وَأَسْدَلْنَا بَعْضَهَا لِتَكُونَ سِتَاراً يَمْنَعُ الْعَيْنَ الَّتِي يَمْتَنِعُ صَاحِبُهَا عَنِ الدَّفْعِ .



وسَأَلْتُهُ: «مَنْ منَّا سَيَكُونُ الْمُرَوِّضَ لِهَذَا الأَسَد؟».

قَالَ: «هَا أَنْتَ تَرَانِي بِهَيْئَةِ الْمُرَوِّضِ، ولايَنْقُصُنِي شَيْءٌ».

قُلْتُ: «وأَنَا أُقَدِّمُ الْغِنَاءَ، وأَقُومُ بِالْحَرَكَاتِ الَّتِي تُضْحِكُ الأَولادَ».

قَالَ: «أَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَقُومَ بِدَوْرِ الْمُهَرِّجِ!».

قُلْتُ: «نَعَمْ؛ لَكِنَّ الْمُهَرِّجَ كَانَ لَهُ وَجْهٌ أَبْيَضُ، وَرُمُوشٌ طَوِيلَةٌ، وَشِفَاهٌ حَمْرَاءُ غَلِيظَةٌ».

قَالَ: «تَعَالَ».

أَدْخَلَنِي الْحُجْرَةَ بِآخِرِ الدَّارِ؛ حَيْثُ نَثَرَ الدَّقِيقَ عَلَى وَجْهِي، ثُمَّ مَرَّرَ الْقَلَمَ الأَسْوَدَ الْقَصِيرَ حَوْلَ عَيْنَيَ وَمَرَّرَ الْقَلَمَ الأَحْمَرَ الدُّهْنِيَّ عَلَى شَفَتَيَّ، وأَحْضَرَ مِرآةً صَغِيرَةً، وَقَالَ: «انْظُرْ!».



كُنْتُ عَلَى هَيْئَةِ الْمُهَرِّجِ . ضَحِكْتُ مِن نَفْسِي وَقَطَعْتُ مَدْخَلَ الدَّارِ ؛ وأَنَا أَتَقَافَزُ فِي الْهَواءِ عَلَى يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ ، ثُمَّ أُسْنِدُ سَاقَيَّ عَلَى الْجِدَارِ ، وأَهْبِطُ بِهِمَا رُوَيْداً رُوَيْداً حَتَّى أُلامِسَ الأَرْضَ مَرَّةً أُخْرَى .

أَمَّا هُوَ ؛ فَقَدْ وَقَفَ أَمَامَ الْخَيْمَةِ ؛ وَاضِعًا فَمَهُ فِي عُلْبَةِ سَجَائِرَ فَارِغَةٍ ؛ يَصِيحُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : «تَعَالَ .. تَعَالَ.. بُصّ بِعَيْنِكَ وارْحَمْ بِقَلْبِكَ .. اللَّيْلَةَ إِكْرَامًا لِصَاحِبِ الْمَوْلِدِ نُقَدِّمُ لأَوَّلِ مَرَّةٍ الأَسَدَ الْجَبَّارَ ؛ يَقْفِزُ وَسْطَ النَّارِ، وَيَنْكَمِشُ أَمَامِي كَالْفَارِ ؛ فَسُبْحَانَ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ» .

لَمَّا الْتَمَّ الأَوْلادُ وَالْبَنَاتُ؛ سَأَلُوا :« بِكَمْ تَذْكِرَةُ الدُّخُولِ ؟» .





قُلْنَا لَهُمُ : «الكُرْسِيُّ الأَمَامِيُّ بِغِطَاءِ القَازُوزَةِ ، والْكُرسِيُّ الْخَلْفِيُّ بِنَواةِ الْبَلَحِ! »؛فَتَفَرَّقُوا فِي الشَّوارِعِ يَبْحَثُونَ عَن أَجْرِ الدُّخُولِ ؛ يَنْكُشُونَ فِي التُّرابِ ، وَيُقَلِّبُونَ فِي الْكِيمَانِ. ثُمَّ عَادُوا مَرَّةً أُخْرَى ؛ فَوَزَّعْنَاهُمْ تَحْتَ الْخَيْمَةِ ، وَتَرَكْنَا فِي الْوَسَطِ مِسَاحَةً فَارِغَةً ، ثُمَّ أَسْدَلْنَا قُمَاشَةَ الْبَابِ .

انْتَظَرْتُ أَنَا بِالْخَارِجِ ، وَدَخَلَ هُوَ بِالْقَفَصِ . أَطْلَقَ الْجَرْوَ الَّذِي لَمْ يَكُفَّ عَنِ الْعُوَاءِ ، وَرَاحَ يُفَرْقِعُ بِالسَّوْطِ ؛ فَانْقَلَبَ عُوَاؤُهُ عَوِيلاً يُقَطِّعُ الْقَلْبَ، وَصَفَّقَ الْمُشَاهِدُونَ وَهَلَّلُوا ؛ والْجَرْوُ يَزْدَادُ رُعْبًا ،ثُمَّ انْكَمَشَ





تَحْتَ قَدَمِ الْمُرَوِّضِ ؛ فَأَعَادَهُ إِلَى الْقَفَصِ . وَعِنْدَمَا طَلَبَ مِنْهُ الْخُرُوجَ قَافِزاً ؛ لَمْ يَفْعَلْ ؛ فَأَلْقَى بالسَّوْطِ عَلَيْهِ ، وَجَعَلَ الْجَرْوُ يَدُورُ فِي حَبْسِهِ ، وَقَبَعَ هُوَ أَمَامَهُ ؛ يُدْخِلُ لَهُ الْعَصَا مِنْ بَيْنِ الْقُضْبَانِ ؛ وَالْجَرْوُ يَصْرُخُ ؛ والأولادُ يُهَلِّلُونَ .

وَمِنْ فُرْجَةٍ بَيْنَ قُمَاشَتَيْنِ ؛ كُنْتُ وَاقِفًا أُرَاقِبُ اللُّعْبَةَ ، وأَنْتَظِرُ دَوْرِي بِفَارِغِ الصَّبْرِ .





وَفَجْأةً ؛ رأَيْتُ الْكَلْبَةَ السَّوْدَاءَ مُقْبِلةً نَحْوَ السِّيرك بِانْدِفَاعٍ . زَامَتْ فِي وَجْهِي ، وكَشَّرَتْ عَنْ أَنْيابٍ بَيْضَاءَ حَادَّةٍ ؛ فَرَجَعْتُ بِظَهرِي ، واسْتَغَثْتُ بِالأولاد . لَكِنَّهُمْ كَانُوا زَائِطِينَ بِالدَّاخِلِ ؛ يُصَفِّقُونَ بِأكُفِّهِم عَلَى إيقَاعٍ مُوَحَّدٍ مَعَ النُّبَاحِ الشَّدِيدِ .

رَفَعَتِ الْكَلْبَةُ السَّوْدَاءُ الْقُمَاشَةَ بِبُوزِهَا ، وَدَخَلَتِ السِّيركَ . سَمِعْتُ صُراخَ الأوْلادِ ؛ وَهُمْ يَقُومُونَ عَنْ أَمَاكِنِهِم بِفَزَعٍ ؛ فَرَفَعُوا بِرُؤُوسِهِمُ السَّقْفَ ، وَبَانَتِ الْكَلْبَةُ وَهِي تَرْفَعُ بِشِدْقَيْهَا قَفَصَ الْجَرِيدِ لِتُلْقِي بِهِ





جَانبًا ، ثُمَّ تَقْبِضُ بِفَكَّيْهَا عَلَى الْجَروِ ، ولاتَنْظُرُ إلَى أَحَد منَّا .

اقْتَرَبَ الْمُرَوِّضُ منْهَا بِسَوْطِه، لَكِنَّهَا لَمْ تَهْتَمَّ بِهِ، ولا بِفَرْقَعَاته ، وظَلَّتْ قَابِضَةً عَلَى ولِيدهَا ؛ عَائِدَةً بِهِ إِلَى الْخرِبَةِ ؛ تَجرُّ جِسْمَهَا الثَّقِيلَ ذَا الأثْدَاءِ الْمُتْرَعَةِ الَّتِي تَصِلُ حَوافُهَا إِلَى الأرْضِ .



وَقَفْنَا جَمِيعًا نَرْقُبُهَا مِنْ خَلْفٍ ؛ حَتَّى لَمْ نَعُدْ نَسْمَعُ لَهَا صَوْتًا .وَعُدْتُ أَغْرِسُ الْعِصِيَّ فِي الْجُدْرَانِ؛ لأُثَبِّتَ الأَقْمِشَةَ عَلَيْهَا .

قُلْتُ لِلْوَلَدِ : «لَمْ أُقَدِّمْ دَوْرِي بَعْدُ !» .

قَالَ : «نُسَمِّيهِ مَسْرَحًا ؛ لأَنَّ السِّيركَ لايَكُونُ إِلا بِوُجُودِ أَسَدٍ» .

وَصَاحَ الأَولادُ والْبَنَاتُ : «نَجْعَلُهُ مَسْرَحًا» .

وَوَقَفْتُ فِي الْحَلْقَةِ الْفَارِغَةِ مُهَيَّأً لِتَقْدِيمِ أَلْعَابِي .



كتب الشمس

سلسلة تقدم اللوحات الفنية الرقيقة التي تصور الأطفال وعلاقتهم بالطبيعة من حولهم وما فيها من حركة وحياة ومشاعر ، وتحبب الطفل في الجمال والعمل والحلم والشجاعة والأمل .

صدر منها :

١ - الصبي والشمس .
٢ - زهرة القمر .
٣ - خبز الصغار .
٤ - العصافير تغني .
٥ - الأميرة والشاعر .
٦ - أسد السيرك .

٩ ش مديرية التحرير ، جاردن سيتي ، القاهرة
ج . م . ع . - تلفون : ٣٥٥٠٥٦٤ - تلكس : 93064 TEAM UN



كتب الشمس

دار الفتى العربي
للنشر والتوزيع
كورنيش المزرعة، بناية الترك، ص.ب. ٥٢٣٦-١٤، بيروت، لبنان.